

ثلاث ليال في القلعة المسحورة

حَدَّثَ فِي قَدِيمِ الزَّمانِ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ أَنَّ أُنَى الصَّيْفِ مَرَّةً شَدِيدَةَ الوَطْأَةِ ، وَلَمْ تَنْزِلْ فِيهِ أَمْطَارٌ ، تَجَفَّ الرَّيْعُ . وَلَمَّا أَتَى الْخَرِيفُ أَتَى مَعَهُ الْبُؤْسُ وَالْفَقْرُ لِلْمُزَارِعِينَ . وَهَامَ كَثِيرُونَ فِي جِهَاتِ الْمَمْلَكَةِ طَلَبًا لِلْعَمَلِ وَالْقُوَّةِ . وَكَانَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْفَلَاحِينَ شَابٌّ شُجَاعٌ وَصِيمٌ الطَّلَعَةِ ، يُسَمَّى طَارِقًا ، فَقَدَ وَلَدِيهِ ، وَفَقَدَ عَمَلَهُ فِي إِحْدَى الْمَزَارِعِ ، بَعْدَ أَنْ عَثِيَ بِهَا الْجُفَافُ . وَفِي أَثْنَاءِ تَجَوُّلِهِ وَصَلَ إِلَى مَدِينَةٍ غَرْنَاطَةَ ، وَقَدْ آَلَمَهُ الْجُوعُ . وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ مِنَ النُّقُودِ مَا يُسَاعِدُهُ عَلَى الْمَيْدِ فِي أَحَدِ الْفَنَادِقِ . فَاتَّخَذَ مَأْوًى فِي قَلْعَةٍ عَرَبِيَّةٍ مَهْجُورَةٍ . وَغَلَبَهُ النُّعَاسُ فَنَامَ . وَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَبَدَتْ تَوْقُظُهُ ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ ، فَرَأَى يَدًا تَحُلُّ شَمْعَةً ، وَتُسَبِّرُ إِلَيْهِ . فَتَبِعَهَا حَتَّى وَصَلَ دَاخِلَ الْقَلْعَةِ إِلَى بَهْوٍ عَظِيمٍ فِي وَسْطِهِ مَائِدَةٌ فَاخِرَةٌ عَلَيْهَا مَا لَذَّ وَطَابَ مِنَ الطَّعَامِ . فَأَكَلَ هَنِيئًا ، وَشَرِبَ مَرِيئًا . وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ أَشَارَتْ إِلَيْهِ الْيَدُ ، فَتَبِعَهَا حَتَّى وَصَلَ إِلَى حُجْرَةٍ نَوْمٍ فَاخِرَةٍ . فَخَلَعَ مَلَابِسَهُ الْبَالِيَةَ ، وَارْتَدَى جِلْبَابَ نَوْمٍ حَرِيرِيًّا وَجَدَهُ فِي الْحُجْرَةِ بَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ الْمَلَابِسِ الْفَاخِرَةِ . ثُمَّ نَامَ نَوْمًا عَمِيقًا . وَعِنْدَ مَا دَقَّتْ أَجْرَاسُ غَرْنَاطَةَ فِي مُتَنَصِّفِ اللَّيْلِ ، جَاءَتْهُ الْيَدُ ، وَأَيَّقَتْهُ . ثُمَّ سَمِعَ صَوْتًا عَذْبًا يَقُولُ : « إِنَّكَ شُجَاعٌ بِطَارِقُ ! فَأَنْتَ

أَوَّلُ مَنْ تَجَاسَرَ ، وَتَبَعَ يَدِي ! فَبَلَكَ أَنَّ تُبْرَهْنَ عَلَى شَجَاعَتِكَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَتَنَقَّذَ فِتْنَةً سَيِّئَةً الْحُظُّ مِنْ سِحْرِ شَيْطَانِ رَجِيمٍ ؟ » فَقَالَ طَارِقُ : « وَمَاذَا يَجِبُ أَنْ أَفْعَلَ ؟ » فَرَدَّ عَلَيْهِ الصَّوْتُ قَائِلًا : « يَجِبُ أَنْ تَبْقَى فِي هَذَا الْفِرَاشِ ثَلَاثَ لَيَالٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَيَجِبُ أَلَّا تَتَحَرَّكَ أَوْ تَصِيحَ مِنْهَا حَدَثَ لَكَ . » فَقَالَ طَارِقُ : « حَسَنُ ! وَسَأَرَى إِذَا كَانَ يُسَكِّنِي اخْتِمَالُ ذَلِكَ . »

وَحَدَّثَ فِي اللَّيْلَةِ الْأُولَى أَنَّ أَحَاظَ بِسِرِّهِ جَمَاعَةً مِنَ الْأَشْبَاحِ ، تَحْمِلُ هَرَّاتٍ ، وَأَخَذَتْ تَضْرِبُهُ ضَرْبًا مُبْرَحًا ، حَتَّى هَشَمَتْ عِظَامَ جِسْمِهِ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ فِي الصَّبَاحِ إِلَّا وَالْيَدُ تَذُكُّ جِسْمَهُ بِدِهَانٍ عَجِيبٍ ، أَعَادَ إِلَيْهِ عَافِيَتَهُ كَمَا كَانَ . ثُمَّ اخْتَفَتِ الْيَدُ بَعْدَ أَنْ تَرَكْتَ بِجَانِبِ السَّرِيرِ شِبْثًا مِنَ الشَّرَابِ . وَفِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ عَادَتْ الْأَشْبَاحُ ، وَأَخَذَتْ تَضْرِبُهُ بِصَالٍ حَادَّةٍ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَحَرَّكَ أَوْ يَصِيحَ . وَفِي الصَّبَاحِ جَاءَتْهُ الْيَدُ مَرَّةً ثَانِيَةً بِنَعْصِ الْأَشْرَبَةِ ، وَدَهَنَتْ جُرُوحَهُ بِبَلَسَمٍ (مَرْهَمٍ) شَفَاءٍ فِي الْحَالِ . وَفِي اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ كَانَتْ الْأَشْبَاحُ أَشَدَّ قَسْوَةً ، فَقَطَعَتْ جِسْمَهُ تَقْطِيعًا ، وَلَكِنَّهُ تَحَلَّى هَذَا الْعَذَابَ ، وَلَمْ يَتَحَرَّكَ أَوْ يَصِيحَ . وَعِنْدَ الصَّبَاحِ رَأَى بَدَلَ الْيَدِ ، فِتْنَةً بَارِعَةً الْجَمَالِ تَحْمِلُ قِدْرًا مِنَ الْمَاءِ ، فَتَسَلَّتْ جِسْمَهُ مِنْهُ ، فَعَادَ صَحِيحًا كَمَا كَانَ . ثُمَّ إِنَّ

طَارِقًا لَيْسَ مَلَابِسَ فَاخِرَةً، وَخَرَجَ إِلَى الْبَهْوِ الْكَبِيرِ،
وَجَلَسَ إِلَى مَائِدَةِ الطَّعَامِ مَعَ الْفَتَاةِ، وَقَدْ أَذْهَلَهُ جَمَالُهَا،

إِذْ لَمْ يَرَ مِثْلًا لَهَا فِي
حَيَاتِهِ. فَقَالَ: «لَا
أُظُنُّ أَنَّ سَيِّدَتِي
أَسْبَابِيَّةٌ». فَقَالَتْ:
«كَلَّا، أَنَا ابْنَةُ سُلْطَانٍ
مَرَّاكِشٍ، وَالْآنَ
وَقَدْ زَالَ السَّحَرُ،
فَيَجِبُ أَنْ أَعُودَ
إِلَى قَصْرِ وَالِدِي،
فَاتَّبِعْنِي، تَجِدْنِي». وَفِي
لَمَحِ الْبَصَرِ
اخْتَفَتْ. وَوَجَدَ
طَارِقٌ نَفْسَهُ حَيْثُ
كَانَ فِي دُرْكِ مَهْجُورٍ
فِي فَنَاءِ الْقَلْعَةِ بِمَلَابِسِهِ
الرَّمْثَةِ الْبَالِيَةِ.



وليس طارق ملابس فاخرة وخرج الى البهو الكبير وجلس الى مائدة الطعام مع الفتاة

حَتَّى يَسْتَمِنَ لِقَائِهِ. وَذَاتَ يَوْمٍ، يَسْمَا كَانَتْ مَعَالِمُ
الْأَفْرَاجِ قَائِمَةً اسْتِعْدَادًا لِزَوَاجِهَا، لَمَحَتْ مِنْ شُرْفَةٍ

قَصْرَهَا طَارِقًا نَفْسَهُ
وَافِقًا بِجَانِبِ السُّورِ
كَمِثْبًا حَزِينًا فِي
أَسْمَالِهِ الْبَالِيَةِ.
فَنَزَلَتْ فِي الْحَالِ،
وَقَالَتْ لِحُطْبِيِّهَا
الْأَمِيرِ: «مُنْذُ مُدَّةٍ
حَدَّثْتُ أَنَّ افْتَقَدْتُ
مِفْتَاحَ صُنْدُوقِ
جَوَاهِرِي، فَحَصَلْتُ
عَلَى مِفْتَاحٍ جَدِيدٍ.
وَالْآنَ قَدْ وَجَدْتُ
الْمِفْتَاحَ الْقَدِيمَ.
فَأَيُّهُمَا أَسْتَعْمِلُ؟»
فَقَالَ الْأَمِيرُ: «يَجِبُ
أَنْ تَسْتَعْمِلِيَ الْمِفْتَاحَ

الْقَدِيمَ». فَتَادَتْ طَارِقًا، وَقَدَّمَتْهُ لِلْأَمِيرِ، قَائِلَةً:
«هَذَا هُوَ الْمِفْتَاحُ الْقَدِيمُ الَّذِي أَغْنَيْهِ. فَهَذَا الْفَتَى الْبَاسِلُ
هُوَ الَّذِي أَتَقَدِّمُ مِنَ الْقَلْعَةِ الْمَسْحُورَةِ. وَقَدْ شَهِدْتُ
إِرَادَةَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ زَوْجِي». وَكَانَ الْأَمِيرُ كَرِيمًا، فَبَارَكَهُمَا
وَقَدَّمَ لَهُمَا هَدِيَّةً ثَمِينَةً ابْتِهَاجًا بِهَذَا الْفَرَانِ السَّعِيدِ.

وَصَمَّ طَارِقٌ أَنْ يَتَّبِعَهَا. وَلَكِنَّهُ كَانَ مُعْدِمًا،
فَسَارَ عَلَى قَدَمَيْهِ يَقْطَعُ الْمَسَافَاتِ الْبَعِيدَةَ، وَيَقُومُ فِي
الطَّرِيقِ بِبَعْضِ الْأَعْمَالِ لِيَسْكُنَسِبَ مِنْهَا قُوَّتَهُ وَحَاجَاتِهِ
الضَّرُورِيَّةَ. وَلِلَّذَلِكَ مَرَّ زَمَنٌ طَوِيلٌ، وَالْأَمِيرَةُ تَنْتَظِرُهُ